رزق مكارى

بدأت نشاطى السياسى فى جمعية سرية إرهابية هدفها ضرب الجنود الإنجليز وتأييهم بسبب إهانتهم للمصريين.
رزق مكارى
«فى حواره معى»

نحن إزاء مناضل من نمط خاص، يوحى بأن اليسار قد مد أصابعه إلى كل الاتجاهات وكل الفئات ليختار منها الأفضل والأكثر إخلاصا لهذا الوطن.

رزق مكارى عندما التقيته فى السجن كان لا يكف طوال الليل عن الغناء بالترانيم الكنسية فقد كان خارج السجن شماسا يقود بصوته الجهورى من يؤدون الترانيم حتى اعتبر قائدا للشمامسة.

الأصل مهيب فالجد الأكبر «المعلم غالى» كان ملتزما لمنطقة منفلوط، ومن ثم كان واحدا من كبار السادة فى كل منطقة أسيوط وما حولها، وعندما أتى محمد على إلى الحكم أصدر الأمر تلو الأمر للملتزمين بجباية ضرائب تلو ضرائب حتى تمرد البعض منهم.

قال المعلم غالى لم يعد فى أجساد الفلاحين قطرة دم. غضب محمد على ونفاه مع غيره من الملتزمين الرافضين إلى دمياط، وهكذا فقد المعلم غالى كل شىء بدأ من جديد باع مصاغ زوجته واشترى قطعة أرض وتحول إلى مزارع.

واحد من أعمامه ترك دمياط وشارك أحد الشوام وافتتحا معا دارا للسينما الصامتة فى بركة الرطلى بالظاهر، ونجح المشروع فانتقل الجميع إلى القاهرة ليعملوا فى ميدان السينما، ومن السينما إلى المضاربة فى بورصة القطن ثم إلى تأسيس «شركة أتوبيس الوطن» وحصلوا على امتياز تشغيل خطين وأصبح المعلم مكارى والد رزق واحدا من الميسورين ويكمل رزق «لكن البورصة أكلت كل أموال أبى ثم سحب إسماعيل صدقى

امتياز شركة الأتوبيس ليعطيه لشركة إنجليزية وأصبحنا بلا دخل، واضطررت إلى ترك المدرسة الثانوية، اشتغلت صائغا وأتقنت المهنة وأتقنت لغة الصياغ التى يتعاملون بها مع بعضهم وهذه اللغة أفادتنى جدا فخلال العمل السرى كنت ألقنها لزملائى لنتخاطب ونتراسل بها، لكن الأزمة الاقتصادية لاحقت سوق الصاغة فتركت المهنة لأعمل كاتب حسابات فى محل بالتربيعة، وفى عام ١٩٣٧ وفيما كانت مصر كلها تغلى ضد قوات الاحتلال فاتحنى أحد أصدقائى بعد أن وجدنى أشتم الإنجليز وأتوعد جنودهم السكارى الذين كانوا يروعون المصريين بأنه عضو فى جمعية سرية هدفها ضرب الجنود الإنجليز عقابا لهم على ذلك، وأن الجمعية لها اسم سرى هو جمعية «حدوة الحصان»، وبدأت أنا ومجموعة من الجمعية نجوب شوارع حى الفجالة والظاهر المظلمة لنصطاد الجنود الإنجليز ونضربهم ضربا موجعا، وفى هذه الأثناء التحقت بشركة توماس كوك ثم عملت مديرا لسينما متنقلة للترفيه عن الجنود الإنجليز فى ميدان القتال بالصحراء الغربية، وشكلت مجموعة صغيرة من المصريين العاملين معى وبدأنا فى تنغيص حياة الجنود الإنجليز.. كبشة ملح زيادة فى حلة الأكل، شوية رمل فى العجين وهكذا، وفى آحدى الإجازات عرفنى صديق لى بمن سماه «الأستاذ يونس» (هنرى كورييل) وتحدثنا طويلا ودعانى لمقابلات أخرى وأحضر لى بيانات ومحاضرات وكتبا ولم أنم طول الليل قرأت وقرأت وكأن طاقات ضوء مبهر تغمرنى وأصبحت عضوا فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى، احتضنت الكتب والأوراق وفى خيمتى فى الصحراء بدأت فى حفظ صفحات كاملة منها تماما كما كنت أحفظ صفحات كاملة من إنجيل لوقا كل ليلة. وهكذا قسمت سهراتى فى الخيمة بين حفظ الإنجيل وحفظ الكتب الماركسية وبعدها قابلنى مراد القليوبى وكان رئيس نقابة عمال السينما وأصبح مسئولى وأعطانى بيانات وزعتها على أصدقائى، وعندما انتهت الحرب عدت إلى القاهرة لأعمل مفتشا فى شركة أتوبيس النجوم الثلاثة وكان مسئولى الرفيق علام (محمد حسن جاد - برق) وكانت الخطوة الأخرى الأهم فى حياتى حضورى مدرسة الكادر وكان المحاضرون فيها محمد شطا - أحمد شكرى سالم - كمال عبدالحليم، وبدأت عملا نقابيا وشيوعيا واسعا فى الشركة وكان مالكها سويسريا اسمه رودلف بليس ويملك معها شركة الشمال للنقل بالفناطيس وشكلت نقابة لعمال الشركتين لكن مالك الشركة فزع وفصلنى من العمل ولم يتركنى العمال فقد ظلوا لأمد

طويل يجمعون قروشا يقدمونها لى كل شهر حتى وجدت عملا، ثم شكلت نقابة لعمال النقش والزخرفة، ويتفرغ المقدس رزق مكارى كما كان يحلو له أن نناديه للعمل النقابى فى إطار منظمة حدتو ويسهم فى تشكيل اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال ضمن ممثلى شركات الأتوبيس.. ويدخل السجن كالعادة ويفرج عنه ليدخل السجن مرة أخرى وثالثة.. وفى ١٩٥٩ يقبض عليه مرة رابعة ليحاكم بخمس سنوات أشغال قضاها فى الواحات، ويخرج مع الجميع عام ١٩٦٤.

يخرج وحيدا وبلا عمل، وحيدا لأنه عندما قبض عليه أول مرة قرر ألا يتزوج حتى لا يعذب أسرته ويتعذب هو لعذابها ويقول لى «تزوجت الحزب والنضال والسجن وخرجت لأجد نفسى وحيدا تماما ما تبقى من الأسرة تفرق أو تباعد وتفضلت الحكومة فعينتنى كمساريا، وجدت زملاءى القدامى وقد أصبحوا موظفين كبارا وحاولت أن أعوض ذلك بالنضال الحزبى لكن قرار الحل جاء صاعقة لى، لم أتزوج فقد تزوجت الحزب وأصبح الحزب أبى وأمى ومستقبلى وضاع كل شىء وعندما تأسس منبر اليسار قررت أن أبدأ مرحلة نضالية جديدة»، وعندما أحيل للمعاش عمل معنا فى المقر المركزى، وذات يوم أتى مبتسما كان قد رفع قضية ليطالب فيها بتعويض عن فترة الاعتقال وحصل على التعويض، قال ببساطة أخذت التعويض وقسمته إلى ثلاثة، الثلث لتجهيز مقر التجمع بالزيتون والثلث للمقر المركزى والثلث الباقى لى.

وظل المقدس يعمل معنا مناضلا سياسيا فى قسم الزيتون وموظفا متطوعا بالمقر المركزى حتى رحل.